

أعضاء البيان

@ 6 @ .

والأكنة ، جمع كنان ، وهو الغطاء والغلاف الذي يغطي الشيء ويمنعه من الوصول إليه . .
 ويعنون أن تلك الأغذية ، مانعة لهم من فهم ما يدعوهم إليه صلى الله عليه وسلم ، وقالوا
 إن في آذانهم التي يسمعون بها وقرأ أي : ثقلاً وهو الصمم . وأن ذلك الصمم مانع لهم من
 أن يسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ومما يقول ، كما قال تعالى عنهم : {
 وَقَالَ السُّذُنُ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ

وَأَنْ مِنْ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ ، مَانِعاً لَهُمْ مِنَ الْإِصْطِلَاقِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْحِجَابَ يَحْبِجُ كِلَا
مِنْهُمَا عَنِ الْآخِرِ ، وَيَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رُؤْيَا مَا يَبْدِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحَقِّ . .
وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ، ذَكَرَ عَنْهُمْ هَذَا الْكَلَامَ فِي مَعْرِضِ الذِّمِّ ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى صَرَحَ بِأَنَّهُ جَعَلَ عَلَى
قُلُوبِهِمُ الْأَكِنَّةَ ، وَفِي آذَانِهِمُ الْوَقْرَ ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِهِ حِجَاباً ، عِنْدَ قِرَاءَتِهِ الْقُرْآنَ
، قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَءِيلَ : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ أَنْ يَسْمِعُوكَ وَتَذَكَّرُكَ
وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ } لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِاللَّهِ خَيْرَ حِجَابٍ مَسْتُورٍ وَجَعَلَ عَلَى
عَلَمِي قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } . وَقَالَ
تَعَالَى فِي الْأَنْعَامِ { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً إِيَّاهِ
لَا يُؤْمِنُونَ } ، وَقَالَ تَعَالَى فِي الْكَهْفِ : { إِزْنًا جَعَلَ عَلَى
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ
إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا } . .

وهذا الإشكال الذي أشرنا إليه في هذه الآيات قوي ، ووجه كونه مشكلاً ظاهراً ، لأنه تعالى ذمهم على دعواهم الأكنة والوقر والحجاب في هذه الآية الكريمة من فصلت ، وبين في الآيات الأخرى أن ما ذمهم على ادعائه واقع بهم فعلاً ، وأنه تعالى هو الذي جعله فيهم . . .

فيقال : فكيف يذمون على قول شيء ، هو حق في نفس الأمر . . .

والتحقيق في الجواب عن هذا الإشكال ، هو ما ذكرناه مراراً ، من أن اِٰ إنما جعل على قلوبهم الأكنة ، وطبع عليها وختم عليها ، وجعل الوقر في آذانهم ، ونحو ذلك من الموانع من الهدى ، بسبب أنهم بادروا إلى الكفر ، وتكذيب الرسل طائعين مختارين ، فجزاهم اِٰ على ذلك الذنب الأعظم ، طمس البصيرة ، والعمى عن الهدى ، جزاء وفاقاً .

